اسم المادة: النص الأدبي القديم(نثر).
الفئة المستهدفة: سنة الأولى جذع مشترك أدب عربي LMD
المحاضرة 02: نصوص من خطب صدر الاسلام:
أهداف الدرس: أن يتعرف الطالب على بعض الخطب من صدر الإسلام.

المحاضرة 03: نصوص من خطب صدر الاسلام:
نماذج من الخطابة في عصر صدر الإسلام
1- خطبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:
"إِنَّ الْحَمْدَ لِلّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، نَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. إنّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيّنَهُ اللهُ فِي قَلْبِهِ وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النّاسِ، إنّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ، أَحِبّوا مَا أَحَبّ اللهُ أَحِبّوا اللهَ مِنْ كُلّ قُلُوبِكُمْ، وَلَا تَمَلّوا كَلَامَ اللهِ وَذِكْرَهُ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُمْ، فَإِنّهُ مِنْ كُلّ مَا يَخْلُقُ اللهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي، قَدْ سَمّاهُ اللهُ خِيرَتَهُ مِنْ الْأَعْمَالِ وَمُصْطَفَاهُ مِنْ الْعِبَادِ، والصّالِحَ مِن الْحَدِيثِ، وَمِنْ كُلّ مَا أُوتِيَ النّاسُ مِنْ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتّقُوهُ حَقّ تُقَاتِهِ وَاصْدُقُوا اللهَ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَتَحَابّوا بِرُوحِ اللهِ بَيْنَكُمْ، إنّ اللهَ يَغْضَبُ أَنْ يُنْكَثَ عَهْدُهُ. وَالسّلَام عَلَيْكُم.
2- خطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي:
وذلك أنه لما هاجر المسلمون إلى الحبشة أرسلت قريش بِرَسُولَيْن في أثرهما، وزوّدتْهما بهدايا ثمينة إلى النجاشيّ وإلى جميع بطارقته، وكلفوهما بأن يطلبا من النجاشي أن يسلم إليهما من هاجر من المسلمين، بدعوى أنهم ما هم إلا مجموعة من السفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دين الملك النجاشي، وجاؤوا بدين ابتدعوه، وهم لذلك أهل للتأديب، وقد استمالوا بطارقة النجاشي إلى صفوفهم، ليضمنوا بذلك مؤازرتهم لهم في طلبهم عند الملك.
وكان الرسولان هما عبد الله بن أبي ربيعه، وعمرو بن العاص، فلما فاتحا النجاشي في الأمر، غضب وقال: لا هالله إذن لا أسلمهم إليهما، ولا يُكاد قوم جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي، حتى أدْعوَهم فأسألَهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنْتُ جوارهم ما جاوروني.
ثم أرسل إلى المهاجرين، وحضروا لدى الملك وأساقفته ورسوليْ قريش.
وأمام هذا الجمع ألقى جعفر بن أبى طالب هذه الخطبة المثيرة المقنعة، فقال:
أيها الملك: كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - (قالت أم سلمه التي تروي القصة والخطبة): فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورغبنا أن لا نظلم عندك أيها الملك.
فاختار جعفر صدر سورة مريم والتي تبدأ بقوله تعالى: ﴿ كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ إلى قوله تعالى:﴿ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾(مريم: 1- 21).
وبعد سماع هذه الكلمات المعجزة لم يتمالك النجاشي نفسه فبكى ملك الحبشة وبكت أساقفته، وهنا وبوضوح أخذ النجاشي القرار وقال: إن هذا والذي جاء به موسى (وفي رواية: عيسى) ليخرج من مشكاة واحدة.

ثم التفت النجاشي إلى وفد قريش وقال لهم: انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبدًا.. فكانت هذه الجولة بكاملها في صفِّ المؤمنين، وهُزم وفد قريش هزيمة منكرة.

وبعد أن انتهت الخطبة قال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدرًا من" كهيعص"، فبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته، وكذا أساقفته حتى بلّوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يُكادون.

وهكذا سيطر جعفر تماما على مشاعر النجاشي ملك الحبشة، بل وعلى مشاعر الأساقفة من حوله، وقد ختم بيانه هذا بمقطع سياسي حكيم قال جعفر فيه: فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألاَّ نظلم عندك أيها الملك.

وبعد انتهاء الخطاب سأل النجاشي جعفر رضي الله عنه قائلا: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قال جعفر: نعم. قال النجاشي: اقرأه عليَّ.

وهكذا كان لفصاحة جعفر وبلاغته، وجودة خطبته الأثر الأكبر في إقناع النجاشي واستمالته، والتأثير فيه لصالحه، خاصة وأن الرجل كان يتحلى بالعدل والتجرد من الهوى، فأفرغ جعفر في مسامعه كلماته المؤثرة، وخطبته البليغة، فكان ما كان.

ثم إنه يتضح جليًّا من عبارات جعفر - رضوان الله عليه - أنه لم يكن مجرد خطيب يحترف الخَطابة، بل كان صاحب دعوة ملكت عليه شغافه، وجرت من نفسه مجرى الدم في العروق، فخرج الكلام من القلب يكسوه الإخلاص، وتجمله الفصاحة، وتزينه جودة الإلقاء، فلا غرو أن وجد من المستمعين آذانًا صاغية وقبولًا حسنًا.

3- خطبة أبي بكر الصديق حينما بويع بالخلافة:

حمِد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله، ثم قال:

"أما بعد أيها الناس، فإني قد وُلّيت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويّ عندي حتى أرجع إليه حقه إن شاء الله، والقويّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

هذا، " وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته: اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقاك.

وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته: اللهم لا تدعني في غمرة، ولا تأخذني على غِرَّة، ولا تجعلني من الغافلين. "

وهذا يوضح لنا مدي التأثير الإسلامي في الخَطابة بعد مجيء الإسلام.

ثم إن خطبة أبي بكر التي معنا خطبة سياسية ومع هذا فهي تنطلق من الدين، وفي هذا دحض للافتراء القائل بأنه لا علاقة للدين بشؤون الحكم، ولا بشئون الحياة.

وهذه الخطبة على وجازتها حوت ملامح ذلك الحاكم الجديد، وأبرزت منهجه في الحكم، وسياسته للرعية، كما كانت حاسمة في تبديد مخاوف الطبقة الضعيفة من ضياع حقوقهم، فلم ييأسوا من عدل الخليفة، وكانت قاطعة لأطماع من تحدثه نفسه من طبقة الأقوياء أو الشرفاء بأخذ ما ليس له أو ظلم ضعيف، فلم يطمع بذلك شريف أو قوي في جوره، كما بينت شخصية الدولة القوية، وأنها لا تفرط في إعداد العدة لجهاد أعداء الله، وكلِّ من تسول له نفسه بالنيل من كرامة الأمة، وهذه الدولة ينبغي أن ترعى الفضيلة، ويتخلق أهلها بها، وأن توصد الأبواب أمام أي رذيلة من الرذائل، أو فاحشة من الفواحش، كما أن الخطبة تطمئن الناس على أن الحاكم الجديد لن يحرمهم حقهم في الحرية السياسية، والتي من مظاهرها نصح الحاكم وتقويمه إذا حاد عن الدستور المتمثل في الشريعة الإسلامية.

كل هذا وغيره حوته هذه الخطبة الموجزة البليغة، والتي تميزت بسلاسة الأسلوب ووضوح العبارة، وقرب المعني، وسمو المضمون، واستمدادها من القرآن والسنة.

ما يستفاد من النص:

-التَّوَاضُع من صفات المتّقين كما يتضح من قوله "فإني وليت ولست بخيركم."
-يجب على المسلمين أن يُعاوِنوا وَلِـيَّ الأمر ما أقام فيهم شريعة الله والتزم نَهْجَ الرسول (ص)
- وسلم وأن يقوّموه ويُصْلحوا من أمره ويُقدِّموا إليه الرأيَ الحق إذا أخطأ وانْحَرَفَ.
- من حق المسلم على وليّ الأمر أن ينتصر له من الظالم وأن يُوصِلَ إليه حقه.
- وجوب الجهاد في سبيل الله.
-وجوب ترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن.
-وجوب طاعة وليّ الأمر ما دام مُطِيعا لله ورسوله. -

4-خطبة هاشم بن عبد مناف

يحث قريشا على إكرام زوار بيت الله الحرام. (أنموذجا)

كان هاشِمُ بنُ عبدِ مَنافٍ يقومُ أولَ نَهارِ اليومِ الأولِ مِن ذي الحِجَّةِ فَيُسْنِدُ ظهرَه إلى الكعبةِ مِن تِلْقَاءِ بَابِها، فَيَخْطُبُ قُريشًا، فيقولُ:

« يا معشرَ قريشٍ، أنتم سادةُ العَرَبِ، أَحْسَنُها وُجُوهًا، وَأَعْظَمُها أحلامًا، وأَوْسَطُها أنسابًا، وأَقْرَبُها أرحامًا. يا معشرَ قريشٍ، أنتم جِيرانُ بيتِ اللهِ، أكرمَكم بِولايَتِهِ، وَخَصَّكم بِجِوَارِه دونِ بني إسماعيلَ، وحَفِظَ منكم أحسنَ ما حَفِظَ جارٌ مِن جارِهِ، فَأَكْرِمُوا ضَيْفَهُ، وُزُوَّارَ بَيْتِهِ؛ فإنَّهم يأتونَكم شُعْثًا غُبْرًا مِن كلِّ بَلَدٍ، فَوَرَبِّ هذه البُنِيَّةِ لو كان لي مالٌ يَحْمِلُ ذلك لَكَفَيْتُكُمُوه.

ألا وإنِّي مُخْرِجٌ مِن طَيِّبِ مالي وحلالِه ما لم يُقْطَعْ فيه رَحِمٌ، ولم يُؤْخَذْ بِظُلْمٍ، ولم يَدْخُلْ فيه حَرَامٌ، فَوَاضِعُهُ فَمَنْ شاءَ منكم أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذلك فَعَلَ. وأَسْأَلُكم بِحُرْمَةِ هذا البيتِ أَلاَّ يُخْرِجَ رجلٌ منكم مِن مالِه لِكِرَامَةِ زُوَارِ بيتِ اللهِ ومَعُونَتِهم إلاَّ طَيِّبًا لم يُؤْخَذْ ظُلْمًا، ولم يُقْطَعْ فيه رَحِمٌ، ولم يُغْتَصَبْ».